Journal of Arabic Language and Literature (JALSL) • Vol 2, Issue 2 (2023) • P:11 - 1
https://journals.ajsrp.com/index.php/jalsl
ISSN: 2790-7317 (Online) • ISSN: 2790-7309 (Print)

Rashid Zaid Al-Kilani (1905 - 1965 A.D) his life and poetry

Dr. Anwar Mohammad Hamad Al- Tawarah
Faculty of Arts | The University of Jordan | Jordan

Received:
08/09/2022
Revised:
18/09/2022
Accepted:
20/10/2022
Published:
30/06/2023

* Corresponding author:
makhliefat2020@yahoo.com

Citation: Al-Tawarah, A. M. (2023). Rashid Zaid Al-Kilani (1905 - 1965 A.D) his life and poetry. *Journal of Arabic Language Sciences and Literature, 2(2)*, 1–11. https://doi.org/10.26389/AJSRP.H080922

2023 © AISRP • Arab Institute of Sciences & Research Publishing (AISRP), Palestine, all rights reserved.

• **Open Access**

This article is an open access article distributed under the terms and conditions of the Creative Commons Attribution (CC BY-NC) license

Abstract: This study deals with the biography of one of the Jordanian educational, cultural and intellectual figures, who had clear imprints in the modern history of Jordan, especially in the process of initiation and construction, Rashid Zaid Al-Kilani. The study also noted the role of Al-Kilani in collecting Jordanian folk literature with melody and words, and organized by Bedouin poetry, elegies and folk songs. The study reached several results, the most important of which are: that the teacher Rashid Zaid Al-Kilani was one of the first pioneers who contributed to the development of the educational and educational renaissance at the level of the country, and that he excelled with great ingenuity in the systems of songs and folk songs until his style became a school in which a large number of poets and songs composed popular.

Keywords: Rashid Zaid Al-Kilani, education, schools, poetry, folk songs.

رشيد زيد الكيلاني (1905 - 1965م) حياته وشعره

الدكتور / أنور محمد حمد الطورة
كلية الآداب | الجامعة الأردنية | الأردن

المستخلص: تعالج هذه الدراسة سيرة حياة أحد الشخصيات التربوية والثقافية والفكرية الأردنية، التي كان لها بصمات واضحة في تاريخ الأردن الحديث، وخاصة في طور النشأة والبناء وهو رشيد زيد الكيلاني؛ حيث تناولت الدراسة بدايةً سيرته الشخصية من حيث ولادته ونشأته وتعليمه، ثم تتبعت مسيرته التربوية وأهم المدارس والمدن الأردنية التي أسهم في نهضة التعليم فيها، كما نوهت الدراسة إلى دور الكيلاني في جمع الأدب الشعبي الأردني لحناً وكلمات، ونظمه الشعر البدوي وشعر المراثي والأغاني الشعبية. وتوصلت الدراسة إلى عدة نتائج أهمها: أن المعلم رشيد زيد الكيلاني كان من الرواد الأوائل الذين ساهموا في تطوير النهضة العلمية التعليمية والتربوية على مستوى مساحة الوطن، وانه برع براعة كبيرة في نظم الأهازيج والأغاني الشعبية، حتى أصبح أسلوبه مدرسة تخرج فيها عدد كبير من ناظمي الأشعار والأغاني الشعبية.

الكلمات المفتاحية: رشيد زيد الكيلاني، التعليم، المدارس، الشعر، الأغاني الشعبية.

المقدمة:

جاءت هذه الدراسة الموسومة بـ "رشيد زيد الكيلاني (1905 - 1965م) حياته وشعره"، لتعالج سيرة حياة أحد الشخصيات التربوية والثقافية والفكرية الأردنية، التي كان لها بصمات واضحة في تاريخ الأردن الحديث، وساهمت بشكل فاعل في صياغة وتطوير فن الشعر الشعبي الأردني، وهناك جوانب كثيرة لهذه الشخصية لم تسلط الأضواء عليها؛ لذا جاءت هذه الدراسة لتسلط الضوء على الكثير من الجوانب الحياتية للمعلم والشاعر رشيد الكيلاني من حيث ولادته ونشأته وتعليمه، وكيف آلت به الظروف نتيجة لفقدان والده من جهة، وتعذر إكمال دراسته العاليه في الأزهر الشريف لقيام ثورة سعد زغلول عام 1919م من جهة أخرى، بالإنتقال للعيش في الأردن والإنخراط في سلك التعليم. وتتبعت الدراسة مسيرته التربوية وأهم المدارس والمدن الأردنية التي ساهم في نهضة التعليم فيها، كما نوهت للدور الكبير الذي قام به الكيلاني في جمع الأدب الشعبي الأردني لحناً وكلمات، ونظمه الشعر البدوي وشعر المراثي والأغاني الشعبية التي أبدع فيها ما شاء له الإبداع، ثم اختتمت بالإشارة إلى وفاته.

وتأتي أهمية هذه الدراسة من كونها تسلط الضوء على موضوعاً لم يفرد له من قبل دراسة تعالج جميع جوانبه على حد علم الباحث، ثم أن الدراسات العلمية التي تناولته أو أشارت إليه من جهة أو أخرى تتصف بالقلة وعدم الشمولية، وكان من أهم أهداف الدراسة التعرف إلى شخصية المعلم رشيد زيد الكيلاني، وإبراز دوره في مجال التعليم، ونظم الشعر، وجمع الأدب الشعبي الأردني.

الدراسات السابقة:

هناك بعض الدراسات التي سبق لها وأن عرضت لسيرة وشخصية الشاعر رشيد زيد الكيلاني، ومما يلاحظ على هذه الدراسات إضافة إلى قلتها، تناولها لجوانب محددة من حياته وشعره، ولعل من أهم هذه الدراسات:

1- **من أعلام الفكر والأدب في الأردن، للأديب محمد أبو صوفة.** وهو كتاب تراجم جمع فيه المؤلف سيرة (63) شخصية من أعلام الأردن في القرن العشرين ومطلع القرن الحادي والعشرين ممن تركوا بصمات واضحة في تاريخ الأدب والفكر الأردني الحديث، وجاء اختيار رشيد زيد الكيلاني ضمن شخصيات هذا الكتاب باعتباره أحد رواد الشعر الشعبي والبدوي في الأردن.

2- **أحسن الربط في تراجم أهل السلط، لهاني العمد.** وهو كتاب تراجم أيضاً، جمع فيه المؤلف سيرة حياة بعض رجالات مدينة السلط من مختلف الطبقات الاجتماعية، سواء ممن ولد في السلط أو عاش أو أقام أو مات فيها. وضم هذا المعجم الذي تكون من جزء واحد، ثلاثمائة وعشرون ترجمة رتبت حسب الحروف الهجائية، وجاءت الترجمة لشخصية رشيد الكيلاني ضمن هذا الكتاب على اعتبار أنه أحد رواد العملية التعليمية في السلط، إذ كان أحد المعلمين في مدرسة السلط الثانوية مطلع تأسيسها وتأسيس الإمارة الأردنية.

3- **أول مئة معلم، تأليف عبد الحليم الهروط وآخرون.** وقد جاء اصدار هذا الكتاب ضمن سلسلة الأوائل في تاريخ الأردن، وهو يتناول بشكل مختصر سيرة حياة أول مئة معلم في تاريخ الدولة الأردنية، وقد أفادنا هذا المؤلف في التعرف على سيرة حياة الكيلاني العملية وخاصة خدمته في سلك التعليم وأهم المدارس التي عمل بها.

4- **الشيخ رشيد زيد الكيلاني، لحسني فريز.** وهي عبارة عن دراسة بحثية وثق فيها الباحث لشيء من حياة الكيلاني وبعضاً من أشعاره، حيث كان الباحث قد زامل الكيلاني معلماً في مدرسة الكرك الثانوية لفترة من الزمن، وبعد وفاة الكيلاني نشر عنه هذه الدراسة لإيمانه بمكانة الكيلاني ودوره في النهوض بالحياة العلمية والثقافية والأدبية في الأردن في القرن العشرين. وتعد هذه الدراسة من أفضل ما كتب عن حياة الكيلاني لأن صاحبها عاصره وعرفه عن قرب، وبالتالي فإن معلوماتها هي الأقرب للحقيقة.

منهجية البحث:

اعتمدت الدراسة على المنهج التاريخي الوصفي، الذي يعتمد على جمع المعلومات من مصادرها الأصلية، كالوثائق والسجلات وغيرها، ثم تصنيف هذه المعلومات وتمحيصها وتفسيرها، وبالنهاية إعادة صياغتها وتوظيفها وصولاً إلى نتائج موضوعية.

وقد تم تقسيم البحث إلى أربعة محاور وخاتمة؛ حيث تناول المحور الأول سيرة الشاعر رشيد زيد الكيلاني الشخصية من حيث ولادته ونشأته وتعليمه. وعالج المحور الثاني حياته العملية. أما المحور الثالث فبحث في إنتاجه الشعري وأغراضه. واختص المحور الرابع في بيان وفاته. أما الخاتمة فتضمنت أهم النتائج التي توصل إليها البحث.

أولاً- سيرته الشخصية:

1. ولادته ونشأته:

ولد الشيخ رشيد زيد الكيلاني في مدينة نابلس في حدود سنة 1905م، كما ورد ذلك في ديوانه (زفرات الذكرى)، وهو أخ شقيق لكل من حسني زيد الكيلاني – الشاعر– الذي كان يصغره بالسن، وأخت واحدة (ثريا). وفي بداية درج الطفولة فقد رشيد والده الحاج عمر وكفله جده لأبيه الشيخ رشيد الذي وافاه الأجل هو الأخر قبل أن يشتد عضده، فرعى شمل أسرته المكونة من والدته وشقيقته وأخيه الشاعر حسني زيد خاله المرحوم عبد الحليم زيد في مدينة السلط (الكيلاني، 1980: 15).

وينتهي نسب الشيخ رشيد زيد إلى عائلة الكيلاني، والكيلانية عائلة ينتهي فيها النسب إلى عبد القادر الجيلاني 1077-1166م، الذي عمر حوالي 90 عاما، حيث ولد في جيلان أو كيلان لأسرة صالحة عرفت بعلم الفقه والدين والطريقة الصوفية، وجيلان هي إحدى بلدات العراق، وهي قرية تاريخيه قرب مدينة المدائن التي تبعد حوالي 40 كيلو متر جنوب بغداد(المعاضيدي، 1997: 77). وسمع الكيلاني الحديث على يدي سعيد الخرمي، واشتغل بالوعظ ، ولازم الخلوة، والمجاهدة والسياحة في الصحراء، وإلى عبد القادر هذا تنسب الطريقة القادرية، وله أتباع في كثير من البلاد، كالصومال والهند وتركيا ومصر والمغرب والسودان، وتوفي ببغداد (العمد، 2007: 152).

وقد عرفت أسرة شيخنا الكيلاني في بداية تواجدهم بمدينة السلط بالقادرية، ومن ثم ومع مرور الزمن أتقف على تسميتهم بالكيلانية، أما في نابلس فقد عرفوا بآل زيد، ولهم فيها دار زيد، وقد ولد زيد هذا بمدينة (يعبد) ثم انتقل مع ابنه يوسف إلى مدينة نابلس، الذي أعقب مصطفى، وكان من أبنائه: عفيف ومحمد وعثمان، وكان الأتراك يعدونهم من الأشراف.

وتشير الدلائل إلى أن والد رشيد لم ينل حظاً من التعليم، وأنه أفنى عمره بالخدمة العسكرية في الجيش التركي، ثم أنه لم يشأ أن يكون حظ ابنه رشيد وسائر إخوته كحظه في هذه الدنيا أن ينشأ بلا تعليم، لذلك نجده يحرص على إرساله للتعليم في الكتاتيب والمدارس المتاحة آنذاك، وعندما توفي والده في أول الكهولة، كلفه جده لأبيه، ثم عندما توفي الجد أيضاً كفل الأسرة جميعها خالهم الشيخ عبد الحليم زيد الكيلاني، والذي كان يشغل إماماً لمسجد السلط الكبير وخطيبه، ومفتي السلط آنذاك أيضاً (العمد، 2007: 1).

وتزوج رشيد بالسيدة تركية الحطاب، ورزق منها بستة ذكور وأربع بنات، أما الأبناء الذكور فهم: هاني وسامي ومحمد وأحمد ومحمود وماجد، وقدرت مشيئة الله أن يفقد من أبنائه الذكور اثنين في حياته، أولهما سامي الذي توفي طفلاً بينما كان رشيد غائباً عن المنزل يعمل مدرساً في قرية (المزار) بالكرك، وثانيهما هاني الذي توفي وهو في مقتبل العمر وبداية الرجولة، حيث فقده بمدينة (مأدبا)، فكانت هاتين الحادثتين هزتين عنيفتين في حياة الأستاذ والشيخ والمعلم رشيد الكيلاني، وها هو ذا يرثي ابنه هاني (الكيلاني، 1980: 15):

أبى الله لي إلا الفجيعــة يا هانــي فيا طول حســـراتي عليك وأحـــــزاني
فقدك فقدانا وهــل يـبرد الحشــا رجائـــي أن ألقاك في العـــالم الثانـي

2. تعليمه:

بدأ رشيد تعليمه في مدينة نابلس، حيث أظهر تفوقا علمياً، فقد كان - رحمه الله - شديد الذكاء والنبوغ والتفوق، وسيم الطلعة طليق اللسان، وقد برز على جميع زملائه في مدارس نابلس، الأمر الذي دفع بعض التجار بمدينة نابلس إلى أن يرسلوه إلى الأزهر الشريف لتحصيل تعليمه العالي على نفقتهم، وكانت هذه العادة متبعة لدى التجار في نابلس تقديراً منهم للطلبة الأذكياء والنجباء من أهل المدينة (أبو صوفة، 1983: 299)، وبالفعل سافر رشيد إلى القاهرة والتحق بالأزهر الشريف، ونجده يؤرخ لالتحاقه للتعليم بالأزهر الشريف في قصيدة طويلة، نذكر منها قوله (الكيلاني، 1980: 24):

فضمني الأزهـــر المعمـــور بين ذوي نســـك وتقـــوى وآداب وعرفـــان

فصرت شيـــخا كما أدَعـــى وأن أك ما زلت الفتـــى في أحاسيسي وريعـاني

وظل رشيد الكيلاني في الأزهر الشريف زهاء عامين ونيف، فكان خلالها مثال الطالب النابه المجد المجتهد، يضرب به المثل بين زملائه في الأزهر الشريف الذي تلقى علومه الدينية فيه وفي مختلف فروعه وعلى أيدي عدد من علمائه الأجلاء، وخلال هذه الفترة أجاد اللغة التركية وقليل من الإنجليزية (الهروط، 2016: 60).

ونظراً للظروف السياسية الصعبة التي عاشتها الديار المصرية بسبب الأحداث الدامية التي حصلت في مصر اثر ثورة سعد زغلول عام 1919م، اضطر الكيلاني إلى العودة إلى نابلس، ثم عاد بعد ذلك إلى مدينة السلط وكله أمل بالعودة إلى مصر لإكمال دراسته، غير أن الأوضاع السياسية والمادية دفعته إلى ترك الدراسة مكرهاً، فقد كان عليه إعالة عائلته التي تعيش في الأردن (الكيلاني، 1980: 16).

ثانياً- حياته العملية:

بدأ رشيد الكيلاني حياته العملية بمهنة التعليم، وعين أول ما عين معلماً بمدرسة السلط التجهيزية، حيث درّس فيها الدين واللغة، وذات مرة زار الملك عبدالله المؤسس_ طيب الله ثراه_ مدينة السلط، حيث عرف جلالته بريادته للنهضة الأدبية، واحتفائه بالحياة العلمية والتعليمية في الأردن آنذاك، والتي استمرت آثارها ناصعة البياض إلى يومنا هذا، وحديث الأجيال بعد مرور المئوية الأولى للدولة الأردنية، ومن مظاهر احتفائه بحركة التعليم ورعايته لها بنفسه أن كان دأبه زيارة المدارس التابعة لكل مدينة يزورها: كالسلط وإربد والكرك ومعان. وفي أثناء زيارته للسلط توجه لمدرسة السلط فدخل أحد الصفوف وبرفقة جلالته المرحوم أديب وهبه مفتش التعليم في ذلك الوقت، وصدف أن كان الصف الذي دخل عليه الأمير عبدالله عنده حصة لغة العربية وكان الشيخ رشيد زيد الكيلاني هو المعلم، فسأله الأمير عبدالله عن إعراب بيت من الشعر فلم يتمكن الكيلاني من إعرابه، فأعربه أديب وهبه. وعلى أثر ذلك نقل الكيلاني بعد زيارة الأمير إلى مدرسة الكرك وذلك في تشرين ثاني 1922م، ثم في العام التالي نقل إلى مدرسة المزار الابتدائية في مدينة إربد، وبقي فيها سنة واحدة ثم نقل في سنة 1924م إلى مدرسة النعيمة فدرّس بها حتى عام 1928م، ثم نقل إلى مدرسة بصيرا بالطفيلة فدرس فيها لعام واحد، لينقل من جديد في عام 1929م إلى مدينة الكرك، ولكن هذه المرة إلى مدرسة المزار الابتدائية فعمل بها مدرساً حتى عام 1936م (الهروط، 2016: 60)، حيث نقل بعد ذلك إلى مدرسة معان الابتدائية فدرّس فيها لمدة خمس سنوات 1936-1941م، وللعديد من المواد أهمها مادة الحساب، ويبدو أن مستوى الطلبة في هذه المادة كان ضعيفاً لذلك نجد مفتش مديرية المعارف كثيراً ما كان يلقي اللوم على الأستاذ رشيد الكيلاني ويقدم له إرشادات من شأنها تحسين مستوى الطلبة في هذه المادة، انظر الشكل رقم (1) الذي يمثل بعض النصائح التي قدمها مفتش إدارة المعارف العامة للمعلم رشيد الكيلاني لتحسين مستوى الطلبة في مادة الرياضيات أثناء زيارته للمدرسة في شباط 1940م، على الرغم من أن ضعف الطلبة في هذه المادة كانت سمة بارزة في مدرسة معان الابتدائية طيلة عهد الإمارة (سجل تفتيش مدرسة ذكور معان الأميرية، 1940: 11،23).

وفي أثناء خدمة رشيد في مدينة معان أغرم بالشعر البدوي فكان يستمع إليه ويعمل على نظمه، وحدث أن زار الأمير عبدالله مدينة معان عام 1941م، فالتقاه رشيد، فسأله الأمير عبدالله عن سبب وجوده في معان، فقال له أنا هنا بسبب بركاتك علي يا سمو الأمير (العمد، 2007: 153).

وفي عام 1941م، انتقل المعلم رشيد الكيلاني إلى مدينة مأدبا ليدرس بمدرستها الابتدائية، ومن ثم انتقل إلى كلية الحسين، ومما يذكر عنه أثناء خدمته في التعليم أن الشنقيطي كان لا يرفعه إلى الدرجة الأعلى إلا إذا نظم له قصيدة يحدد هو له موضوعها. ويبين الجدول رقم (1) الآتي المدارس التي درّس فيها الكيلاني خلال الفترة 1921-1946م.

جدول رقم (1) المدارس التي درّس فيها رشيد زيد الكيلاني 1921-1946م (الهروط، 2016: 60؛ القرالة، 2006، 53؛ وزارة التربية والتعليم الأردنية، ملف المعلم رشيد الكيلاني، رقم (120).

الرقم	المدرسة	الفترة الزمنية
1	مدرسة السلط التجهيزية	1922-1921
2	مدرسة الكرك التجهيزية	1923-1922
3	مدرسة المزار الابتدائية / إربد	1924-1923
4	مدرسة التعيمة الابتدائية / إربد	1928-1924
5	مدرسة بصيرا الابتدائية / الطفيلة	1929-1928
6	مدرسة المزار الابتدائية / الكرك	1936-1929
7	مدرسة معان الابتدائية	1941-1936
8	مدرسة مأدبا الابتدائية	1946-1941

لا شك في أن هذه الخدمة التي قضاها الكيلاني في سلك التعليم وتنقله بين قرى وبوادي الأردن من شماله إل جنوبه قد أتاح له التعرف على البدو، وعلى كثير من العشائر الأردنية، فأحب الشعر البدوي والعزف على الربابة، كما عرف أدب البادية ولسان أهلها، وانعكس ذلك على لهجته، وعلى نظمه للأغاني الشعبية، فكان قادراً على الحديث باللغة العربية الفصيحة، وباللهجة البدوية وفي ذلك يقول (الكيلاني، 1980: 25):

معلما في قرى الأردن أبحث عن رزقي بتعلـيم أطفـــال وصـبيان

ما بين قوم كـــرام طيبـــين ذوي نبل رجال على الشـــدات شجعان

هذا وقد استقر المطاف برشيد الكيلاني في نهاية الأمر بالعاصمة عمان، حيث انتقل من سلك التعليم إلى وظيفة حكومية أخرى وذلك في وزارة الأشغال العامة، التي كانت تدعى بذلك الوقت بـ (النافعة)، فعمل فيها بوظيفة كاتب ولمدة سنتين 1946-1948م، ثم تركها ليعمل موظفاً بالمصرف الزراعي ولمدة سنتين أيضاً 1948-1950م، ثم عاد من جديد في عام 1950م إلى وزارة التربية والتعليم، فعمل مديراً لأحد مدارسها في العاصمة، ولعلها مدرسة الملك حسين الابتدائية (العسبلية سابقا)، وذلك للفترة 1950-1959م (الهروط، 2016: 60)، ويقول المرحوم محمد أبو صوفه واصفاً معلمه رشيد الكيلاني: كان يلقي علينا درسا في اللغة العربية .. وها هو يقرأ علينا بأسلوبه الممتع قصة (الحمامة والثعلب ومالك الحزين) ومن يومها أحببت الشيخ رشيد، وأكبرت فيه، فيما بعد عشقه للشعر والأدب البدويين.

وبعد خدمة قاربت الأربعين عاماً أحيل أخيراً رشيد الكيلاني في اليوم الأول من تشرين أول 1959م، على التقاعد وهو قادر على العمل، لا وبل في قمة نشاطه وعطائه، وكان راتبه التقاعدي أقل بكثير من أن يوفر له حاجاته المعيشية.

ولكن ها هو السعد آت، فقد اختاره المرحوم وصفي التل مدير عام الإذاعة آنذاك ليعمل في الإذاعة، وكان رئيس الحكومة آنذاك المرحوم هزاع المجالي، فتوجه الشيخ الكيلاني إلى الأدب الشعبي يجمعه لحناً وكلمات، ويمثله وينظم على منواله ما يناسب الذوق العام، ويقال بأنه جمع حوالي (950) لحناً، ويرجع إليه الفضل في جمع التراث

الغنائي الأردني، وذلك بتوثيق الأغنية وتراث البادية الأردني في برنامج كان يسمى "أدب البادية"، حيث وقف خلف نجاح الأغنية الأردنية التي لحنها كثير من الفنانين أمثال جميل العاص، وسلوى العاص، وعبده موسى، وسميرة توفيق، وتوفيق النمري، وسهام الصفدي (الغوانمة، 2002: 16). وكانت هذه الألحان التي ما تزال تختزنها الذاكرة الأردنية الجماعية، والتي أذيعت من إذاعة المملكة الأردنية الهاشمية في أواخر الخمسينات والستينات والسبعينيات، وأصبح أسلوبه الشعري مدرسة تخرج منها عدد كبير من ناظمي الأغاني الشعبية المغناة، فكان بذلك رحمه الله قد عاش خادماً لعلمه ولفنه الأردني وترك ميراثاً عظيماً، وحياة حافلة بالعطاء.

ثالثاً- الإنتاج الشعري:

يعد رشيد الكيلاني من جيل الشعراء الرواد الذين أغنوا الساحة الأدبية الأردنية شعراً، وحملوا على عواتقهم مسؤولية تأسيس القاعدة الثقافية في الأردن وبخاصة في النصف الأول من القرن المنصرم. وقد ترك المرحوم عقب وفاته رحمه الله تعالى، مجموعة ضخمة من الأشعار، نشرته أسرته، بعد أن تدخلت في صيغتها من حيث اختيار عنواناً لكل قصيدة من القصائد، وحذف أبيات من بعضها لأنها خصوصيات لا يجوز نشرها وإعادة ترتيب القصائد في مجموعات، غير أن الديوان اتسع لثلاث قصائد باللهجة البدوية، فضلاً عن الأغاني والأهازيج، وقد نشر الديوان عام 1980م.

ورشيد، شاعر مناسبات حملته تصاريف حياته وعوزه على كثرة شعر الشكوى وإسرافه في تصوير معاناته، وقصيدة (زفرات الذكرى) والتي يحمل الديوان عنوانها سيرة خاصة لحياة شقية، وقد تجود له قصائد قريبه من منابع الحزن كالرثاء، ويمتاز شعره الذي حمل وهجاً عاطفياً، خاصة في غرض الرثاء والغزل فانه أقرب إلى الرقة والسهولة. وامتاز شعره الوطني والسياسي والاجتماعي برصانة اللغة وربما تخللها الصيغ الجاهزة والعبارات الخطابية. وتمثلت أغراض شعره في الآتي:

أ. شعر المدح:

للشاعر المرحوم رشيد الكيلاني قصائد في المدح، اختص في بعضها مدح أصحاب المناصب ورفاق العمر، ومنها ما أشاد فيها بصفات الأمير عبدالله بن الحسين _ طيب الله ثراه _ الذي كان يرى فيه المنقذ الأعظم وباني مجد العروبة الحديث، فنجده يقول في قصيدته التي ألقاها بين يدي جلالته في إحدى زياراته لمدينة معان وكان ذلك في عام 1939م (الكيلاني، 1980: 29):

طلعت علينا طلعة البدر فانجلى بك الكـون نورا شـرقه ومغاربه

وأقبلت إقبـال الربـيع فمرحـبا بك الخير أنى سرت عمت أطايبه

ومن خلال هذين البيتين يلاحظ القارئ التعلق الشديد ومدى الحب والإنتماء الذي يكنه الشاعر للأمير عبدالله حفيد رسول الله صلى الله عليه وسلم، فهو في البيت الأول يستذكر استقبال الأمير عبدالله بمعان باستقبال المدينة المنورة للرسول الأعظم بنشيد (طلع البدر علينا)، وفي البيت الثاني يشبه قدوم الأمير عبدالله لمعان بفصل الربيع الذي تزهر فيه الورود ويعم الخير الأرض.

وفي قصيدة أخرى يقول مادحاً الأمير عبدالله، ومشيداً بآبائه وأجداده ونسبه الهاشمي الممتد إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم (الكيلاني، 1980: 38):

لك من رسول الله مجدا أرفع وجلالة بجلال جدك تسطع

ولعرشك السامي المؤيد سؤدد لـذراه أعناق المهابة تخضع

أبت المفاخر غير بيتك منزلا وشموسها إلا بأفقك تطلـع

وهناك قصائد قالها الشاعر في مدح الشيخ عبود بن حسن النجار، أدرجت في ديوانه تحت مسمى (عبوديات رقم1، رقم2، رقم3) وكان الشيخ عبود هذا قد شغل لفترة من الزمن الإمام الخاص بالمغفور له لأمير عبدالله بن

الحسين، كما كان قاضياً في معان حين كان الشيخ رشيد معلماً فيها، وقد نشأت بينهما ألفة ومحبة، جعلته ينظم فيه القصائد مادحاً إياه، كما في قوله (الكيلاني، 1980: 53-54):

لك إن أردت الشـــعر ما ما تزدان فيه الشـاعـــريه
كلـم تنـاثر كالجــمان بديـعه المعنـى جلـــيَه
"عبـــود" من قد أنجـبته لنا الديـــــار الطائفـيه
شيخ ويأتنـس الشـباب بروح شيخـــته الفـتيـه
وإمام مـــولانا الأمير وخـير قاض في الرعـيه

وهنا يلاحظ أن كل بيت من أبيات هذه القصيده فيه ثناء من الشاعر على الشيخ عبود من حيث علمه وسماحته وأنسه واتساع صدره، وإن هذه الصفات جميعها قد لا تعادل شيء إذا علمت أنه إمام الحضرة الهاشمية وقاضي من قضاة الدولة السنية.

ب. شعر الرثاء:

فقد الشاعر الشيخ رشيد ابنه الطفل سامي وهو في ريعان طفولته بسبب جهل الأطباء وبعد المكان عن العاصمة، وفي مدينة مأدبا فقد الشيخ ابنه البكر هاني وهو في سن الرجولة والشباب، وكانت وفاة ابنه سامي هزة عنيفة في حياته ترك على أثرها التربية والتعليم إلى غير رجعة، وذلك لأن التنقل من مدرسة إلى أخرى وبعده عن العاصمة عمان حال دون تمكنه من معالجة ابنه سامي.

ومن قصيدته في رثاء ابنه هاني يظهر فيها حزنه الصارخ، وقد أثقلت الكارثة عزيمته وحطت من قوته، حيث التجأ في نكبته إلى الرضا بقضاء الله تعالى فكان كما يصفه شهود العيان يقف في الليل ودموعه جارية وهو ينظر للسماء ويقول بصوته الباكي: "الحمد لله الحمد لله، رضيت بقضاء الله الحمد لله". ونذكر من ذلك قوله (الكيلاني، 1980: 115):

وما فقدك القاسي سوى شرُ محنة أناخت على قلبي ومادت بأركاني
تضاءلت الدنيا فـــبرد نعيمـها وحرُ شـــقاها في فؤادي سـيان
حبيبي وأنت الـــبكر أول من هفا لطاعته قلبي ورفرفت تحـــناني
رحلـــت إلى أخراك رروحا بريئة تميس من الطـهر الكريم بأردان
وتم قضـــاء الله بالقـــدر الذي تحتَم أن يقضى على كل إنسـان

تصدع هذه الأبيات بحزن صارخ وفجيعة كبيرة تظهر مدى اللوعة والأسى الذي عاشه الشاعر جراء فقد ابنه البكر الذي رحل عن الدنيا روحاً بريئة وهو لا يزال على مقاعد الدراسة، كما تظهر مدى إيمان الشاعر بحكم الله والإيمان بالقضاء والقدر، وإن لكل إنسان أجل لا بد منه.

ت. شعر الوصف:

تنقل الكيلاني في العمل ما بين التربية والتعليم والأشغال العامه (النافعة) والمصرف الزراعي، وتنقل بين السلط والكرك ومعان ومأدبا، وها هو يصف جزءاً من قصة حياته شعراً صريحاً واضحاً في قصيدة طويلة زادت على الثمانين بيتاً، وبأسلوب رقيق العبارات، جعلها بعنوان "زفرات الذكرى"، ومطلعها: (الكيلاني، 1980: 25):

لا تنكا الجرح، واترك جرحى القاني ولا تهـج نار آلامي وأشجـاني

ويصف في هذه القصيده كيف أصابه اليتم وهو صغير، وكيف حدبت عليه أمه ولم تكن تعاقبه إذا أذنب، وكيف أن تفوقه بالمدرسة كان فاتحة خير عليه بأن أجمع أكابر وجهاء مدينة نابلس على إرساله لتلقي العلم في الأزهر الشريف، فاقبل على العلم هناك بشغف وشوق شديد إلا أن ثورة مصر على الإستعمار الإنجليزي عام (1919م) حال دون إكمال دراسته بسبب إغلاق الأزهر، وفي ذلك نجده يقول(الكيلاني، 1980: 24):

فضمني الأزهر المعمور بين ذوي نســـك وتقوى وآداب وعـــرفان

فصرت شيخاً كما ادعى وأن أك ما زلت الفتى في أحاسيسي وريعاني
حتى إذا طاب لي سعيي وسبح في أفق الأماني والآمال حسباني
قد أغلق الأزهر المعمور وانطفأت أنواره بعد إيناس وعمران

كما يصف الشاعر في هذه القصيدة جانباً من حياته بألوانها الصريحة الواضحة، التي قضاها في التعليم متنقلاً بين عدد من القرى الأردنية، وقد عايش سكان تلك القرى واختلط بهم وتذوق كلامهم وحياتهم وخواطرهم واتخذ من بعضهم الخلصاء والأصحاب، وتغنى ببعض صفات أهالي تلك القرى كالكرم والطيب والشجاعة ونبل الأخلاق. فنجده يقول(الكيلاني، 1980: 24):

معلماً في قرى الأردن أبحث عن رزقي بتعليم أطفال وصبيان
ما بين قوم كرام طيبين ذوي نبلٍ رجال على الشدات شجعان
تخذت من صالحيهم معشري ومن الصحب الوفيين أحبابي وخلصاني

ث. شعر المعارضة:

عارض رشيد الكيلاني الشاعر عرار مصطفى وهبي التل في قصيدته "بين الخرابيش"، وهي قصيدة طويلة كثيرة التشعبات، تقع في أحد عشر جزءاً، والخرابيش هي عبارة عن بيوت من الخيش يقيم فيها النوّر (الغجر) الذين كان عرار شديد الإعجاب بهم، وكان منزلهم في منطقة وادي السير وهي قرية غرب العاصمة عمان. وتبدأ القصيدة بمطلع غنائي عذب، يقول فيها(عرار، 2007: 231):

ليت الوقوف بوادي السير إجباري وليت جارك يا وادي الشتا جاري
لعلَني من رؤى وجدي القديم به أرتاد مسَا لجنيات أشعاري

وجاء رد الكيلاني على عرار بقصيده أسماها "بين الخرابيش" مطلعها (الكيلاني، 1980: 73):

يا من تمنى بوادي السير وقفته وجار وادي الشتا جارا عن الجار
حملت نفسك ألوان العذاب كما خرجت بالقلب من نار إلى نار
لا تأخذ النفس بالأوهام إذ غرقت أحلام قلبك في لحن وقيثار

وهنا نجد الكيلاني ينصح الشاعر عرار أن يقلع عن الحب بعد أن ولى زمانه بالمشيب، وأن اتخاذه النوّر لا يليق به وبمكانته، كون النوّر لا يشغلهم إلا حياة الرقص والغناء، محذراً إياه من الوقوع بالباطل، بقوله: إنك إنما تمني نفسك بالأوهام (فريز، 1985: 79).

وتميزت كثير من إشعاره بالسخرية والشكوى من غلاء المعيشة وارتفاع تكاليفها، مما حدا به أن يطلق على بعض قصائده مسميات منها: (من كوى الضيق)، و(الشكوى لله عز وجل)، و(الشكوى لله من ثقل الديون)، أظهر فيها شكواه وتصويره معاناته من ضيق ذات اليد، وعسر حياته، ونذكر هنا بعضاً من أبيات قصيدته "الشكوى لله عز وجل" (الكيلاني، 1980: 60-61):

أمرت يا رب أن نشكو إليك وأن ندعوك يا رب في كل الملمات
يا رب أنت ترى حالي وتبصرها أبدي وتعلم مكنون الخفيات
كتبتني مع من قدّرت عيشهم طول الحياة بأعمال الوظيفات
فلست ممن له زرع فيحصده يوماً ولم أك من أهل التجارات
فجاءت الحرب والويلات تتبعها والحرب أصل البلايا والرزيات
أأشتري القوت أم أقضي الديون وهل أعيش أم أتقي الفضيحات

هنا يخاطب الشاعر خالقه فيقول: يارب أمرت أن نشكو إليك، وأن ندعوك فأنت القريب المجيب، وقد كتبتني من المقدور عليهم رزقهم بالمال، وليس لي رزق سوى هذه الوظيفة (معلم)، فلا زرع ولا تجارة، وليت الأمر وقف

على ذلك فقد جاءت الحرب (حرب 1948م) فارتفعت الأسعار وتكالبت علينا الديون حتى أصبح راتبي لا يكفي لتوفير رغيف الخبز. ولعل هذه القصيدة تفصح عن ضيق العيش والأوضاع الأليمة التي كان يمر بها جراء تراكم الدين.

ج. الشعر الشعبي "الأغاني والأهازيج":

يعد المرحوم الشاعر رشيد الكيلاني من أهم الشعراء الذين تركوا بصمات هامة في الحياة الأدبية والفكرية في الأردن، وساهم في تطوير فن الشعر الشعبي فيها، ووقف خلف النجاحات الواسعة التي حققتها الأغنية الأردنية في الاحتفالات الوطنية داخل الأردن وكذلك الاحتفالات الوطنية في الأقطار العربية المجاورة كسوريا ولبنان.

وقد أبدع الكيلاني في الشعر الشعبي وكان من أسباب شهرة كثير من الفنانين والمغنيين الأردنيين أمثال الفنان توفيق النمري، وجميل العاص، وسهام الصفدي، والفنانة سميرة توفيق التي غنت له من شعره كثير من الأغاني، وكذلك الفنان عبدو موسى، والتي لا يزال الأردنيون يرددون أغنيته:

"يا هلا ويا مرحبا من وين الركب من وين"، من قصيدة (نشيد النار) كما ورد اسمها في ديوان الشاعر رشيد الكيلاني والتي تبدأ بالمطلع (الكيلاني، 1980: 174):

يا هلا ويا مرحبا من وين الركب من وين أقبل علينا الضحى يا زينة إقباله

جوك النشامى وتبشري يا زين عقبان فوق الهجن واسود خياله

وقد لاقت هذه الكلمات صدى واسعاً وإعجاب كثير من الفنانين والملحنين العرب في كل من سوريا ولبنان، حيث استمع لها الأخوين رحباني اللبنانيين في بعض زياراتهم للأردن، وطلبا من المرحوم وصفي التل _ وكان حينها مديرا للإذاعة الأردنية _ ومن أوائل المهتمين بالتراث الفني والأغنية الأردنية، أن يقتبسا لحن مطلع القصيدة كما غناه الفنان عبدو موسى، وأدخلا ذلك اللحن في توظيف فني جميل، وعلى شكل موال افتتاحي لأغنية لبنانية جميلة هي: (قتاله عيون الهوى قتاله) للفنان نصري شمس الدين (الغوانمة، 2002: 110)، حيث يبدأ الموال وعلى لحن قصيدة (نشيد النار) بالمطلع:

لا مثلها في حدا ولا مثل دارا دار هب النسيم الطري ع زهورها ومال

يا حلوه ياللي القمر والفي الحماك وجار تشتاق لها العين بس القلب ما يطال

وعلى سبيل ذكر المرحوم وصفي التل، واهتمامه بالشعر الشعبي والأغنية الأردنية، وقد كان قد عمل مديرا للإذاعة قبل توليه رئاسة الوزراء الأردنية إلا إنه _ رحمه الله_ كان دائم الزيارة والحضور إلى مبنى الإذاعة آنذاك، والاطمئنان على سير الأعمال البرامجية وتطورها، حيث يذكر مروان دودين: في كتاب (وصفي التل/ فكره ومواقفه) أنه حضر ذات يوم وبرفقته المشير حابس المجالي _ قائد الجيش الجيش الأردني _ وصاحب كلمات الأغنية الأردنية التي مطلعها: (حنا كبار البلد وحنا كراسيها)، والتي غنتها الفنانة سميرة توفيق، إلى مبنى الإذاعة، وعند حضورها طلبا من مروان إحضار الفنان جميل العاص _ الموسيقار والفنان الأردني _ وأوعزا إليه بكلمات أغنية وهي بيت شعر كانا سمعاه معاً من جندي أردني يردده على باب القيادة العامة، وهما في طريقهما للإذاعة:

تخسى يا كوبان ما انت ولف لي ولفي شاري الموت لابس عسكري

حيث طلب منه عرض الكلمات على كل من الشعراء الأردنيين آنذاك: حسني فريز، وإبراهيم مبيضين، وسليمان المشيني وغيرهم. ليكملوا بقية القصيدة، وفاز بها الشاعر حسني فريز:

تخسى يا كوبان ما انت ولف لي ولفي شاري الموت لابس عسكري

يزهى بثوب العز واقف معتلي بعيون صقر للقنص متحضر

وقد لحنها جميل العاص، وغنتها عبر الإذاعة الأردنية الفنانة سلوى العاص.

وكذلك نجد في ديوان الشاعر مجموعة كبيرة من القصائد والأهازيج المغناة والتي لا نزال نسمعها عبر إذاعتنا الأردنية لليوم، مثل: "نشيد النار" وقد ورد ذكرها في الدراسة وكذلك" أهزوجة الفخر" والتي مطلعها (الكيلاني، 1980: 148):

ثار البارود يا محلا يوم الغارة والي نعاديه لازم نهدم ديـارة

وأهزوجة: "يا ظريف الطول" ومطلعها (الكيلاني، 1980: 152):

يا ظريف الطول حسنك كمله رب الخلايـــق زينك جمـله

والورد هاللي عخدك يا حـلو غار من لـــونه ورد بســـتاننا

ومنها أيضا: "بين الدوالي"، و"يا صبابين الشاي"، و"يا مغربين مغرب"، و"بيَ ولا بيك، ليت الوجع يا الزين"، و" شوقي يا أبو الجديلة" (الكيلاني، 1980: 168):

شوقي يا شوقي يابو الجديلة

وجهك ها لمحبوب يسوى قبيلة

رابعاً- وفاته:

توفي الشيخ والمعلم والأديب والشاعر رشيد زيد الكيلاني رحمة الله تعالى يوم 1965/10/6م (أبو صوفة، 1983: 301)، ودفن بمدينة عمان، تاركاً خلفه ميراثاً عظيماً، وحياة حافلة بالعطاء، وقد رثاه أخوه وشقيقه حسني زيد الكيلاني بقصيدة طويلة، نذكر منها(العمد، 2007: 155).

كنت في الشـعر ماردا جـــــبارا وأهـــــلا في فــنه لا يبـــــارى

كنـت تأتـــي به علـى كل فـــن فتهـــز القلـــوب والأفـــكار

كنـــت تأتـــي من البـيان عجـابا يقـــف الشـــعر حـــوله محـتارا

وكأنـي بمـسـلم وابن هانـــــي أخـــذا مـنه نفـخة المعـــــطارا

أدب أثمـــل البـــوادي وشـــع فاض كالنـهر في يبـاب الصحارى

الخاتمة:

تناولت هذه الدراسة حياة واحد من الشعراء والأدباء الأردنيين، ممن واكب جيل الرواد من الشعراء والأدباء ليس فقط على الصعيد الأردني بل على الصعيد العربي، وقدم إسهاماً مميزاً في الحركة الأدبية والثقافية في الأردن منذ نشأت الإمارة وحتى عام 1965م، وذلك من خلال تتبع سير حياته، والنظر في ديوانه الوحيد (زفرات الذكرى) الذي نشرته أسرته عقب وفاته في عام 1980م.

وقد توصلت الدراسة إلى مجموعة من الحقائق، لعل من أهمها:

1- كانت حياة الشاعر رشيد زيد الكيلاني مليئة بالمصاعب ومكنزة بالآلام والصبر والمآسي منذ طفولته حتى ملاقاته لوجه ربه الكريم؛ فقد أصابه اليتم وهو لا يزال طفلاً صغيراً، ثم حالت الثورة المصرية عام 1919م دون الحصول على بغيته وهي الشهادة العالية من الأزهر الشريف، ثم أصيب بلوعة الحزن والفجيعة باختطاف يد المنون ابنيه البكر "هاني" ثم "سامي" وهما لا يزالا صغاراً على مقاعد الدراسة، هذا ناهيك عن الديون التي تراكمت عليه لإنشغاله بتعليم أبنائه وبناته الثمانية حتى وصل به الأمر أحياناً أن لا يجد قوت يومه، ورغم كل هذه المصاعب، ومع ومع كل المغريات السياسية والأوضاع الأليمة التي مرت به كان لا يقوم بعمل إلا يكون فيه مخلصاً لله، ولم يخن وطنه يوماً ولم يسخّر قلمه في خدمة الحاكم أو غيره وإنما كان يبغي دوماً العيشة الشريفة البعيدة عن المدح والسؤال.

2- أمضى الكيلاني حياته في سلك الوظيفة الحكومية؛ فقد بدأ حياته العملية معلماً في وزارة المعارف، ثم انتقل لوزارة الأشغال العامة (النافعة)، وما لبث أن تركها بعد مدة قصيرة ليعمل بالمصرف الزراعي، لكنه عاد في نهاية خدمته لوظيفته الأولى معلماً، وبعد إحالته على التقاعد أجبرته حالته المادية وكثرة الديون على العودة للعمل من جديد فعين في مؤسسة الإذاعة الأردنية. هذا وقد أتاحت له خدمته في حقل التعليم من خلال

التنقل بين العديد من القرى الأردنية التعرف على البدو وحياة البداوة، وعلى الكثير من العشائر الأردنية، فأحب الشعر البدوي، كما عرف أدب البادية ولسان أهلها، وانعكس ذلك على لهجته، فكان قادراً على الحديث باللغة الفصيحة، وباللهجة البدوية، وهذا ما سهل عليه أثناء خدمته في الإذاعة من جمع الأدب العالي واللحن الشعبي والفلوكلوري وبالتالي النهوض بالأغنية الأردنية.

3- يعد رشيد الكيلاني من جيل الشعراء الرواد الذين أغنوا الساحة الأدبية الأردنية شعراً، وحملوا على عواتقهم مسؤولية تأسيس القاعدة الثقافية في الأردن، وقد ترك مجموعة ضخمة من الأشعار، نشرتها أسرته في ديوان واحد حمل عنوان "زفرات الذكرى"، بعد أن تدخلت في صيغتها من حيث اختيار عنواناً لكل قصيدة من القصائد، وإعادة ترتيب القصائد في مجموعات، واتسع الديوان لقصائد باللهجة البدوية، فضلاً عن الأغاني والأهازيج المختلفة التي تضمنها الديوان، والذي تم نشره عام 1980م.

4- للشاعر زيد الكيلاني يعود الفضل في إحياء ونجاح الأغنية الشعبية الأردنية التي لحنها الكثير من الفنانين أمثال: جميل العاص، وعبده موسى، وسميرة توفيق، وتوفيق النمري. فقد كان شعره الزجلي وشعره البدوي ولعل من أشهرها "يا صبابين الشاي"، و"يا ظريف الطول"، و"عالياني الياني"، و"بين الدوالي"، تغنى في الأردن في الستينات والسبعينات من أقصاه إلى أقصاه، بل واتسعت دائرة محبيه وعشاق فنه آنذاك لتشمل كافة ديار العروبة الواسعة.

المصادر والمراجع:

1- أبو صوفة، محمد، من أعلام الفكر والأدب في الأردن، ط1، مكتبة الأقصى، عمان 1983م.

2- عرار، مصطفى وهبي التل، عشيات وادي اليابس، مطبعة السفير، عمان2007م.

3- العمد، هاني، أحسن الربط في تراجم أهل السلط، ط1، مطبعة السفير، عمان 2007م.

4- الغوانمة، محمد، عبده موسى: رائداً ومبدعاً، دار الكندي للنشر، عمان 2002م.

5- فريز، حسني: الشيخ رشيد زيد الكيلاني، المجلة الثقافية، ع6، الجامعة الأردنية، عمان 1985م.

6- القرالة، فيصل عبد الكريم، التعليم في الكرك في عهد الإمارة من عام 1921-1946م، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة مؤتة 2006م.

7- الكيلاني، رشيد زيد، ديوان: زفرات الذكرى، عمان 1980م.

8- مدرسة معان الثانوية للبنين، سجل تفتيش المدارس، رقم 1/4/1.

9- المعاضيدي، خاشع، من بعض انساب العرب، جزءان، دار الرشيد، بغداد 1997م.

10- الهروط، عبد الحليم حسن وآخرون، سلسلة الأوائل في تاريخ الأردن (3)، أول مئة معلم، ط1، منشورات جامعة العلوم الإسلامية العالمية، عمان 2016م.

11- وزارة التربية والتعليم الأردنية، ملف المعلم رشيد الكيلاني، رقم (120).